الخدمات والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى

(٩٢٣–١٣٣٥هـ / ١٥١٧– ١٩١٦م)

إعداد

د. ماجدة صلاح مخلوف

أستاذ التاريخ العثمانى واللغة التركية

كلية الآداب جامعة عين شمس.

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

مكة المكرمة أول الحرمين وثانى القبلتين، مدينة لها قداستها فى نفس كل مسلم، وقد جعل الله أفئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم، لذا كانت خدمة هذه البقعة المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفا يحرص الحكام فى كل عصر من عصور التاريخ على الظفر به .

والدولة العثمانية (٦٩٩– ١٣٤٢هـ /١٢٩٩ –١٩٢٣م) دولة مسلمة قامت على مذهب أهل السنة والجماعة، وقدحرص العثمانيون منذ قيام دولتهم على التعبير عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين،وكان الفتح العثمانى للشام ومصر عام٩٢٣–٩٢٤هـ / ١٥١٦ –١٥١٧م، بداية انتقال خدمة ورعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية، وعلى رأس هذه الخدمات هى خدمة الحرمين الشريفين تعميرهما وتوسعتهما، وإرسال الصرة والكسوة الشريفة فى كل عام لأهالى الحرمين الشريفين،ورعاية أهلهما وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة. وقد حظى الحرمان الشريفان فى العهد العثمانى بحظهما من الدراسات والبحوث،أما المرافق العامة والخدمات التعليمية والصحية والمياه فى مكة فى نفس تلك الفترة العثمانية والممتدة لأربعة قرون،فلم تظفر بنفس القدر من اهتمام الباحثين حسب علمنا، وهذه الورقة تتناول أربع نقاط رئيسة هى المياه، والحياة التعليمية والثقافية، والحالة الصحية والاجتماعية،

والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى ونأمل أن تكون بداية لدراسات موسعة تتناول هذه الجوانب الحضارية من تاريخ مكة المكرمة، والله ولى التوفيق .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة المكرمة أول الحرمين وثانى القبلتين، مدينة لها قداستها فى نفس كل مسلم، وقد جعل الله أفئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم، لذا كانت خدمة هذه البقعة المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفا يحرص الحكام فى كل عصر من عصور التاريخ على الظفر به.

والدولة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٣م) دولة مسلمة قامت على مذهب أهل السنة والجماعة، وقدحرص العثمانيون منذ قيام دولتهم على التعبير عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين، فبدأوا فى رعاية أهله بإرسال الصرة إلى الحجاز، اعتبار من زمن السلطان بايزيد الأول (١٣٨٩- ١٤٠٢م)[١]، أى قبل أن يتشرف العثمانيون بخدمة

١ أرسل بايزيد الأول الصرة من العاصمة ادرنة فى عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩ م وكان مقدارها ثمانين ألف ذهب، مخصصة لخدم الحرمين الشريفين وأشرافهما، وسادتهما وعلمائهما من حصلية مئات الأوقاف الموجودة فى الأناضول والتى أوقفها على الحرمين الشريفين، انظر

–Nazif Ozturk,Turk Yenilesme Tarihi Cercevesinde Vakif Muessesesi, ankara ١٩٩٥.S. ٢٩.

=

منطقة الحجاز بأكثر من قرن من الزمان . ثم أرسل مراد الثانى الصرة وكان مقدارها عشرة الآف فلورى[١]، وأوقف حاصلات قرى منطقة باليق حصار بأنقرة علىمكة المكرمة[٢] ثم السلطان محمد الفاتح وأرسل سبعة آلاف ذهب ثم بايزيد الثانى(١٤٨١-١٥١٢م) وأرسل أربعة عشر ألف دوقة ذهب[٣]كان يجرى توزيعها على الحجيج وسكان مكة والمدينة[٤].وقد نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين العليف[٥] قصيدة بعنوان " الدر المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد ملك الروم"[٦]، وذلك بمناسبة وصول الصرة العثمانية إلى الحجاز فى زمن السلطان بايزيد الثانى، وتبدأ بقوله:

=

وسيتم توثيقه فيما بعد ،نظيف اوزتورك، مؤسسة الوقف .

١ الفلوري أو الدوقة البندقية عملة ذهبيةكانت نساوى فى ذلك التاريخ سبع وخمسين آقجه..

٢ انظر، محمد حرب،خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها، مقال فى مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، نوفمبر ١٩٨٧م، ص١٤٩.

٣ نظيف اوزتورك، مؤسسة الوقف، ص ٢٩.

٤ حول كيفية توزيع هذه الصرة انظر،

Mustafa Guler, Osmanli Devletinde Haremeyn Vakiflari(xvi–xvii Yuzyillar) Istanbul ٢٠٠٢,s.٢٠٣.

وسوف سيتم اختصاره فيما بعد، مصطفى كولر، اوقاف العثمانيين فى الحرمين.وانظر أيضا الملحق رقم ٢.

٥ هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين العليف، أحد شعراء المدينة المنورة فى زمن السلطان بايزيد الأول ويصفه صاحب مرآة الحرمين أنه كان أحسن الناس فى زمانه، وقد شرف دار السيادة (بورصه) بزيارته فى صحبة الشيخ محيى الدين بن عببد القادر بن عبد الرحمن العراقى من خطباء مكة المكرمة، وقدم القصيدة إلى السلطان بايزيد، انظر، أيوب صبرى، مرآة مكة، استانبول ١٣١٠، ج٢، ص ٥٧٨.

٦ كانت الأناضول تعر ف حتى ذلك التاريخ باسم بلاد الروم لأنها كانت من قبل تحت حكم الروم أى البيزنطيين، وكان بايزيد يلقب بسلطان الروم أى سلطان المناطق التى كانت فى حوزة الروم.

خذوا من ثناى موجب الحمد والشكر

ومن درّ لفظى طيب النظم والنثر

فرتب له السلطان هدية سنوية يصرفها مدى الحياة مقدارها ألف ذهب [١].

وحرص السلاطين العثمانيون على التواصل مع أمراء مكة المكرمة، وإرسال رسائل الفتوح إليهم مباشرة، وكذا الهدايا النقدية إليهم وإلى أهالى الحرمين الشريفين والنقباء والقائمين على الخدمة فيهما، وذلك قبل أن تكون الحجاز فى رعاية الدولة العثمانية. كما كان العثمانيون منذ بداية دولتهم مهتمين برعاية السادة والأشراف الذين يفدون على الإمارة العثمانية، وكان السلطان مراد الثانى ( ) يوزع سنويا وبيده شخصيا ألف فلورى ذهبى على كل من يمت نسبه بصلة واضحة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [٢]. كذلك أرسل السلطان محمد الفاتح رسالة الفتح إلى أمير مكة المكرمة " السيد الأحسنى العجلانى الحسنى يزف إليه بشرى فتح القسطنطينية " ويصفه بأنه " مُعلى قواعد الموسم والحرمين، حامى مشاهد البقاع الشريفة، أمير المسلمين، وولى المؤمنين سلطان بيت الله" وهى صفات تنبئ عن نظرة تقدير واحترام العثمانيين لأمراء الحرمين واعتبارهم "

---

١ انظر، Mehmet Zeki Pakalin,Osmanli Tarih Terimleri ve Deyimleri Sözlügü ,Istanbul ١٩٧١.c.٣,s.٢٨

وسيتم توثيقه فيما بعد، محمد زكى باك آلين، معجم مصطلح التاريخ العثمانى، وانظر أيضا أيوب صبرى، ج٢، ص٥٧٨.

٢ محمد حرب، المرجع السابق، ص ١٤٩.

أمـراء المسلمين وسلاطين بيت الله"، وأرفق السلطان محمد الفاتح بالرسالة هدية إلى أمير مكة وإلى أهالى الحرمين الشريفين عبارة عن " ألفى فلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من غنائم فتح القسطنطينية، وسبعة آلآف فلورى آخر للفقراء، منها ألفان للسادات والنقباء والألف للخدام المخصوصة بالحرمين، والباقى للمتمكنين المحتاجين فى مكة المعظمة والمدينة المكرمة"[١].

وحرص العثمانيون على مخاطبة أمراء مكة بالألقاب اللائقة بهم وإظهار مظاهر الاحترام والتقدير لهم بوصفهم " فلذة أكباد الرسول، زبدة أحفاد البتول، أمير المسلمين، وولى المؤمنين، خلاصة أولاد شفيع المذنبين"[٢]

وكان ضم العثمانيين للشام ومصر عام ٩٢٢–٩٢٣هـ / ١٥١٦–١٥١٧م، بداية انتقال خدمة ورعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية [٣]، وعلى رأس هذه الخدمات؛ خدمة لحرمين الشريفين وتعميرهما وتوسعتهما، وإرسال الصرة والكسوة الشريفة فى كل

١ أنظر، أحمد فريدون بك، منشئآت السلاطين، المطبعة العامرة، استانبول ١٢٦٤هـ، ص ٢٣٢–٢٣٣ "شريف مكهْ مكرمة يه إرسال بيوريلان قسطنطينية فتحنامهْ همايوننك صورتيدر ".

٢ فريدون بك، المرجع السابق، ص ٢٣٢.

٣ أرسل شريف مكة الشريف أبو نمى ولده الشريف محمد إلى السلطان سليم الأول أثناء مقامه فى القاهرة، ليعلن مبايعته للسلطان العثمانى، ويسلمه مفتاح الكعبة المشرفة، رمزا لانتقال رعاية منطقة الحجاز الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية. وصار السلطان سليم الأول العثمانى يدعى بلقب "خادم الحرمين الشريفين " وقد حافظ السلاطين العثمانيون من بعده على استخدام هذا اللقب الذى يبين نظرة التقدير والاحترام الذى كان سلاطين العثمانيون يشعرون به تجاه هذه الأراضى المقدسة.

عام لأهالى الحرمين الشريفين والمجاورين[١].

وقد أنشأ العثمانيون في سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٧م وزارة خاصة بالحرمين الشريفين عرفت باسم " نظارة الحرمين" ومهمتها دارة الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين، ويقوم عليها أغا دار السعادة[٢]، وكانت مهمة هذه النظارة إدارة الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين وفق شروطها. وقد ازدادت أهمية هذه النظارة بعدما تزايدت أوقاف السلاطين العثمانيين وزوجاتهم وكذلك ما أوقفه أغوات دار السعادة والشخصيات المهمة في الدولة. فأنشئت أربع إدارات تابعة لهذه النظارة وهى:

تفتيش أوقاف الحرمين، ومحاسبة أوقاف الحرمين،ومقاطعة

---

١ تتضمن السجلات التى وصلتنا منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر فقرات عن كمية الحبوب التى كانت ترسل باسم الجراية لإطعام سكان الحرمين الشريفين، ومعلومات أخرى عن تأمين طرق الحج من مصر ودمشق إلى الحجاز، وعن أبنيية أقيمت حول الكعبة وعن كسوة الكعبة، انظرنجات جويونش، بعض الوثائق عن الكعبة فى القرن السادس عشر، بحث مقدم إلى جامعة الرياض، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الاولى لتاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٧.

٢ أغا دار السعادة، هو أكبر الأغوات فى القصر العثمانى، وأكبر أغوات الحريم والعاملين داخل القصر. ودرجته فى البروتوكول داخل القصر تأتى بعد الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، ويلقب بصاحب الدولة، وصاحب العناية " دولتلو، عنايتلو".ومهمته الأساسية هى الإشراف على قسم الحريم السلطانى الذى يعيش فيه نساء القصر. انظر،

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati, Ankara ١٩٨٤, s.١٧٢.

كما أنه رئيس كل موظفى الحرمين الشريفين والموظفين المسئولين عن أوقاف السلاطين والوزراء واوقاف الحرمين الشريفين،سواء فى استانبول أو فى سائر الولايات العثمانية، وعليه مراقبة أوجه صرف هذه الأوقاف وفق شروطها، انظر، مصطفى كولر، اوقاف العثمانيين فى الحرمين، ص ٢١٨.

أوقــاف الحـــرمين، كتبــة دار الــسعادة .وكانــت دفــاتر هــذه الإدارات الأربـع تكتـب بخـط الـسياقة[١]، ولهـذا فهـى مـن أهـم المـصادر التاريخيـة فـى هـذا الـصدد[٢].وفـى عـام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، تم ضـم نظـارة أوقـاف الحـرمين إلى نظارة الأوقاف السلطانية[٣].

وتحتــوى دفــاتر أوامــر الحــرمين مــن رقــم ٩٧٩ إلى ٩٧٧، والتــى تخــتص بــالفترة مــن ١٢٢٧إلى ١٢٩٩هـــ / ١٨١٢ إلى ١٨٨١م، والموجــودة فــى أرشـيف الإدارة العامـة للأوقـاف فـى تركيـا علـى مـا يتعلـق بأوقـاف الحرمين والأوقاف التابعة لخزينتها[٤].

وكانــت الدولــة العثمانيــة تعتمــد إلى حــد كــبير علــى الجهــود الأهليـة والخيريـة فـى إقامـة المنـشئات الاجتماعيـة والعلميـة مثـل المـدارس الخانــات والأســبلة وقــصور القوافــل وعيــون المــاء والمطــاعم الخيريــة ودور الـشفاء فـأوقفوا أوقافـا كـثير ومتنوعـة علـى الحـرمين الـشريفين، فقـد أوقــف الــسلاطين ســليم الأول، وســليمان القــانونى[٥]، ومــراد الثالــث،

١ خط السياقة، وتكتب بالعثمانية "سِياقت" نوع من الخطوط التى استخدمها العثمانيون فى كتابة الدفاتر والأرقام، وحروفه غير منقوطة.

٢ Ziya Kazici, Islami ve Sosyal Acidan Vakiflar Istanbul ١٩٨٥. S. ٧٣–٧٤.
وسيتم توثيقه بعد ذلك، ضيا قازيجى، الأوقاف.

٣ ضيا قازيجى، الأوقاف.، ص٧٣،

٤ نظيف اوزتورك، المرجع السابق، ص١٢.

٥ تعد أوقاف السلطان سليمان القانونى من أهم الأوقاف التى أوقفها السلاطين العثمانيون على الحرمين الشريفين، فقد أوقف على كسوة الكعبة سبع من قرى مصر كما أوقف على أهالى الحرمين الشريفين عدد آخرى من القرى بالإضافة إلى ما أوردته الوثائق تحت بند ط تصدقات السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان" انظر، محمد على فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى، القاهرة ٢٠٠١، ص٧٣–٨٥.

والسلطان أحمد الثانى أوقافا كبيرة، لإطعام سكان الحرمين الشريفين، وكانت توزع عليهم بموجب براءة سلطانية تصدر للمستحقين من هذه الأوقاف.وقد سجل الرحالة العثمانى أوليا جلبى فى رحلته إلى الحجاز سنة ١٠٨١هـ / ١٦٧١م أن أهل الحجاز نالوا من رعاية السلاطين العثمانين رعاية تفوق ما تمتعوا به فى زمن الأمويين والعباسيين، والدولة المملوكية، وهى الدول التى تولت رعاية وخدمة الحرمين الشريفين أو كانت فى حوزتهم السياسية. وكانت المساعدات العثمانية تتدفق على سكان الحرمين بكميات كافية وذلك من نتاج الأراضى التى أوقفها العثمانيون على الحرمين الشريفين منذ زمن السلطان سليم الأول. وسار على نهجه السلاطين سليمان القانونى، وزوجته خرم سلطان، ومراد الثالث، وأحمد الأول.

فضلا عن الأوقاف، اهتم العثمانيون بإنشاء المؤسسات الخيرية والمدارس والمكتبات فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة دعما للحياة العلمية فيهما[١].كما اهتم رجال الدولة العثمانية بل والنساء أيضا، بإنشاء الأعمال الخيرية فى منطقة الحجاز[٢] لخدمة الحرمين

١ فى هذا الموضوع، انظر، أميرة على مداح، النشاط العلمى فى مكة المكرمة فى العصر العثمانى، جامعة أم القرى ٢٠٠١.

٢ مثال ذلك المدارس التى أنشأها كل من الصدر الأعظم صقوللى محمد باشا، وسنان باشا فى مكة، والمدرسة السليمية، والمرادية، والمحمودية، وسبيل قيزلر أغاسى، أى سبيل أغا دار السعادة، ومن خيرات النساء نجد المدرسة التىأنشأتهاخاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان القانونى وتعرف بالمدرسة الخاصكية. وكذا وقف السيدة عائشة والدة السلطان مراد الرابع وقد أوقفت أراض وقرى كثيرة من قرى مصر على الحرمين الشريفين . انظر، محمد على فهيم، المرجع السابق، ص ٦٧ما بعدها.

الشريفين وخدمة أهله، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة لهذا الغرض، ورعاية أهله وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة. وقد اعتبر العثمانيون جميع أراضى الدولة العثمانية، أراضى خراجية، باستثناء منطقة الحجاز، فقد اعتبروها أراضى عشورية، وهذه العشور كانت توزع فى الحجاز على المستحقين، أى أن الدولة العثمانية لم يكن يصل إلى خزينتها أى أموال من منطقة الحجاز[١].

و بدءا من عصر السلطان سليم الأول[٢]، حتى زمن السلطان عبد الحميد الثانى (١٢٩٣– ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦–١٩٠٩م)، أبدى العثمانيون مظاهر اهتمامهم واحترامهم للحرمين الشريفين وأمرائه ورتبوا الهدايا والمرتبات السنوية لهم والاهتمام بالمرافق العامة والحالة الصحية والتعليمية، وترميم وتجديد وتعميرالحرم المكى الشريف،

١ أنظر، Hezarfen Huseyin Efendi, Talhisu'l–Beyan Fi Kavanin–I Al–I Osman, Hazirlayan Sevim Ilgur, ankara ١٩٩٨,s.١٣٤

وسوف يتم توثيقه فيما بعد، هزار فن حسين أفندى، تلخيص البيان .

٢ عقب الفتح العثمانى لمصر صدر الأمر بتثبيت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (٩٠٣–٩٣١هـ/ ١٤٩٧–١٥٢٤م)وكان أميرا على مكة المكرمة فى نفس العام الذى فتح فيه السلطان سليم الأول العثمانى مصر ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. وعقب الفتح أرسل الشريف بركات ابنه الشريف أبا نمى لمبايعة وتأييد السلطان سليم ويقدم له مفاتيح مكة رمزا للمبايعة وقد ثبته السلطان سليم على إمارة مكة المكرمة. انظر،

Ismail Hakki Uzuncarsili,Mekke–I Mukerreme Emirleri, ankara ١٩٧٢,s.١٧

وسيتم توثيقه فيما بعد، اسماعيل حقى اوزون جارشيلى، أمراء مكة المكرمة .

وفى تفصيل خدمات العثمانيين للحرميين الشريفين ومناسك الحج ومخصصات مراء مكة انظر، محمد الأمين المكى، خلفا عظام عثمانيه حضرتلرينك حرمين شريفينده كى اثار مبروره ومشكورهْ همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨هـ، ترجمه إلى العربية ماجدة مخلوف، تحت الطبع، وسيتم توثيقه فيما بعد محمد الأمين المكى، خدمات العثمانيين.

وكانت مكة المكرمة في القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى تضم ثلاث وخمسين وكالة تجارية متعددة الأدوار، كل واحدة منها تضم مائة أو مائتي دكانا، وعددا كبيرا من التكايا والمدارس[١].

وقد أسند الخلفاء العثمانيون، الوظائف الجليلة إلي أهالي الحرمين الشريفين، ورتبوا الرواتب الكبيرة للقائمين على أمر الدين ورجالاته من مفتين وعلماء وخطباء وأئمة، وأمّنوا سُبل معيشتهم، ومثلها للأشراف والسادة والصالحين والأخيار والزهاد. وعمّت خيراتهم الجميع ؛ العوام منهم والخواص، والذكور والأناث، فانصرف الناس للعبادة والطاعة الربانية، وتحصيل العلوم العالية[٢].

كما وجهوا اهتمامهم نحو تأمين طرق الحج حرصا علي راحة حجاج بيت الله الحرام، وحماية الدين المبين، وإقامة شعائر الإسلام، و حرصوا على إرسال الأموال المقررة كل سنة من استانبول في حماية العساكر السلطانية، وإرسال الصرة السلطانية من مصر، وصرف الأموال الكثيرة لأشراف الحرمين الشريفين، والسادة والعلماء والأهالي والمجاورين، والقائمين علي خدمة الحرم المكي الشريف، و تقديم الرواتب الكبيرة لقبائل البدو القاطنة بين الحرمين الشريفين المحترمين، توفيرا لأسباب راحة الحجاج المسلمين وأمانهم[٣].

١ انظر، Yilmaz Oztuna,Buyuk Turkiye Tarihi, Istanbul ١٩٨٣,c.١٤,s.٣٩.
وستم توثيقه فيما بعد،يلماز أوزطونه، تاريخ تركيا الكبير.
٢ محمد الأمين المكى، المرجع نفسه، ص٢.
٣ محمد الأمين المكى، المرجع السابق، ص٣.

وتتضمن المصادر العثمانية تفصيلات دقيقة واسعة عن جهود العثمانيين فى تعمير وتطوير الحرم المكى منذ عهد السلطان سليم الأول، وتأمين سبل الحج وغيرها من الخدمات المتعلقة بالحرم المكى ومناسك الحج[١]، لذا فسوف نكتفى هنا بالتعريف بالخدمات الخاصة

١من هذه الخدمات التى بذلها العثمانيون لتعمير الكعبة المشرفة والحرم المكى، ما يذكر من أن المسجد الحرام يتعرض من حين إلى آخر لبعض التدمير بسبب السيول التى كانت تنزل على مكة قوية ومدمرة فى بعض السنوات. وكان العثمانيون يبذلون جهدهم فى ترمييم ما أفسدته هذه السيول وما تأثر بتقادم السنين، وإهداء الهدايا القيمة للحرم المكى تعظيما له . أول من تشرف بخدمة الحرمين الشريفين من العثمانيين،هوالسلطان سليم خان الأول، وفى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م، صدر الأمر إلى الأمير مصلح الدين بك، أحد خواص السلطان بالتوجه من مصر إلى مكة المكرمة لتجديد مقار أئمة المذاهب الأربعة فى الحرم المكى الشريف وترميم مواضع كثيرة من الحرم على الطرز والشكل المعروف آنذاك. كما صدر الأمر بتثبيت الشريف بركات أميرا على مكة المكرمة، وتخصيص راتب شهرى له مقداره خمسمائة ذهب، وتعينات شهرية اشتملت على ثمانين أردبا من القمح، وثلاثين اردبا من الشعير وأرز وعلف وقهوة وفول، وبعبارة أخرى كل المستلزمات الضرورية. كما أمر بمنحة توزع على الأهالى والخدم والأشراف والسادة والعلماء، مقدارها مائتى ألف ذهب خالص العياركما أصدر مرسوما بأن ترسل إلى أمير مكة نقود و خلعة فاخرة مرصعة ومطرزة باللؤلؤ ، بها ياقة ذات أزرار مصنوعة من الماس الفاخر، وخلعة أخرى خفيفة ذات ياقة موشاة، وأنواع من الملابس على اختلافها،وتُسلم إليه فى كل عام مع الصرة السلطانية. ويقوم أغوات المحمل الشريف وأغوات القفطان بتوصيل هذه المخصصات وتسليمها إلى أمير مكة فى كل عام . ثم رتبوا الصرة والسنوية والمرتبات الشهرية فبلغت عشر أضعاف ما كانت عليه.واستمرت مخصصات ومرتبات السادة أمراء مكة إلى أن أصدر السلطان الغازى عبد الحميد الثانى أمره فى سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، بزيادة مرتبات إمير مكة ومخصصاته. ولكى يضمن العثمانيون موردا دائما للإنفاق على الحرم المكى رتبوا له الوقفيات الكبيرة، فقد اشترى السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان القانونى، سبع من قرى مصر، وأمرا بوقفها على كسوة الكعبة المعظمة والأعمال المتعلقةبها وقد بلغت إيرادات هذه القرى في سنة٩٤٧هـ /١٥٤٠م، ما قيمته ٣٥٧,١٥٧ درهما شرعيا. كذلك الصرة والمرتبات السنوية والشهرية التى خصصها الخلفاء العثمانيون من خزينة الأوقاف السلطانية ومرتبات بدل كسوة ومرتبات سنوية للأشراف والسادة والعلماء والمدرسين المدنيين والعسكريين المتقاعدين والمحتاجين والتلاميذ ولتأمين =

بتوفير المياه والرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى.

***

=

طريق الحج كانت تحافظ على امتلاء آبار المياه والخزانات على طريق الحج وصيانتها ، وكانت تأخذ فى موسم الحج من كل عام عشرة أشخاص كرهائن من قبيلة حرب التى تبسط سلطانها على الطريق بين مكة والمدينة لكى تضمن عودة الحجاج سالمين كما اهتم العثمانيون بعمارة الحرمين الشريفين ، وعمل الترميمات والتوسعات اللازمة ومن أهم هذه التوسعات والتعميرات ما قام به السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٤هـ /١٦٣٤م بعد حادث السيل الذى أثر على بناء الكعبة المعظمة ، فتم إعادة بناء الكعبةوهى البناء الحادي عشر للكعبة المعظمة ،ووضع الرخام على سطح وجدار الكعبة ورخام المطاف،كما تم تجديد باب الكعبة فى عام ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥م، وعمل الصاغة الفضة للباب ووزن ذلك مائة وستة وستون رطلا ،وطلى بالذهب البندقى مما قدره ألف ديناركذلك التعمير الذى تم فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى فى عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م، والذى أمر بإرسال عدد من المقصورات المخصصة للنساء فى الحرم المكى الشريف وأعقبه السلطان محمد رشاد فى عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، حتى بلغ ما أنفقه العثمانيون على العمائر فى المسجد الحرام ما يقارب المائة ألف جنيه عثمانى، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الوقت. وكانت الدولة العثمانية تعنى بإرسال كل ما يلزم الحرم المكى الشريف من زيت وشمع وبخور، وقناديل لإضاءة وتعطير المسجد الحرام، فى خدمات العثمانيين للحرم المكى انظر، محمد الأمين المكى المرجع السابق، اسماعيل حقى اوزون جارشيلى، أمراء مكة المكرمة ،ص١٧. أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص ٦١٣ وما بعدها ،حول نص وقفية السلطان سليمان القانونى هلى كسوة الكعبة المعظمة سنة ٩٤٧هـ، انظر أيوب صبرى، مرآة مكة، ج٢، ص ٧١٤–٧١٩، وأيضا السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط١ القاهرة ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦، الملاحق ص٢٦٥–٢٧١. جولدن صارى يلدز، الحجر الصحى فى الحجاز ١٨٦٥–١٩١٤، ترجمه عن التركية وقدم له عبد الرازق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١)، ط١، ٢٠٠١.ص ٩٣. ابى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، صححها وعلق حواشيها رشدى الصالح ملحس، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة سنة ١٣٥٢، ج١، ص٢٤١–٢٥٥. أحمد السباعى، تاريخ مكة ج٢، مكة المكرمة، نادى مكة الثقافى، ط٦ ١٤٠٤هـ، ص٤٧٧.

نظرا للطبيعة الصخرية لمكة المكرمة فقد ندر ماؤها واعتمدت فى تلبية احتياجاتها من المياه على الأمطار والآبار. وكانت مسألة المياه على طرق الحج موضع اهتمام المسلمين، حتى أجرت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد الماء من مسيرة ثلاثة أيام حتى جبل عرفات وهى ما عرف باسم عين زبيدة التى وصفت بأنها مادة الحياة فى مكة المكرمة.

وقد اراد السلطان العثمانى محمد الفاتح أن يعمر مصادر الماء التى فى طريق مكة المكرمة سنة ٨٨٤هـ، وقت أن كانت الدولة المملوكية مسئولة عن خدمة لحرمين الشريفين، فرفض السلطان المملوكى، فظهرت الوحشة بينه وبين صاحب مصر لهذا السبب[١].

فلما صارت خدمة الحرمين فى عهدة العثمانيين أعطوا مسألة توفير مياه الشرب لأهالى مكة المكرمة ومناسك الحج أهمية كبرى، لعلاقة ذلك براحة أهل مكة والحجيج وصحتهم، وتعبيرا عن رعايتهم لهذه المناطق المقدسة. فأقاموا المنشئات وخزانات المياه والصنابير فى مكة وماحولها ومناسك الحج.

فقد قام السلطان سليمان القانونى فى عام ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م، بتوصيل ماء عين زبيدة من عرفات إلى مكة المكرمة، على نفقته

١ منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع مكتبة السليمانية استانبول، أسعد افندى برقم ٢١٠٢، ٢/٢، ص ٢/٦٧٤.

الخاصة لتوفير هذا الماء لأهالى مكة المكرمة، واستغرق هذا العمل سبعة عشر عاما وأنفق فى تنفيذه مائة ألف ذهب.وجعله باسم ابنته السيدة مهرماه[1]. وأنشأ داخل مكة أحواضا كبيرة وصهاريج واحتفل أهل مكة احتفالا كبيرا بوصول ماء عين زبيدة إلى مكة المكرمة[2].

وعندما تخربت عين زبيدة فى حادث السيل الكبير عام ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩ م صدر الأمر بعمل الإصلاحات اللازمة، وقد أنفق على هذا الغرض خمسون ألف ذهب .

وفى سنة ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢ م أمر السطان محمد الرابع (١٠٥٨هـ:١٠٩٩هـ / ١٦٤٨م:١٦٨٧م) بإرسال سليمان أغا لإصلاح مجرى عرفات وتجديد أحواض الماء الضخمة الموجودة هناك، وذلك حفاظاً على حياة الحجاج المسلمين.

وفى عام ١١٨١هـ/١٧٦٧م، تم تعمير عين عرفات وسائر العيون فى مكة المكرمة، وعين حنين الواقعة على مسافة ثمان ساعات من مكة المكرمة، واستغرق هذا الأمر ثلاث سنوات وأنفق

---

١ مهرماه سلطان، بنت السلطان سليمان القانونى من زوجته خرم سلطان،كان ذات خيرات ولهاأكثر من جامع ومدرسة وحمام فىضواحى استانبول،انظر،

agatay Uluçay,Padisahlarin Kadinlari ve Kizlari, Ankara ١٩٨٠.s.٣٨.ا–M.

وسيتم توثيقه فيما بعد،جغتاى أولوجاى، زوجات وبنات السلاطين.

٢ يذكر صاحب مرآة الحرمين أنه تم إنشاء تسعة صهاريج وعدد من خزانات الماء ذات صنابير، ممنها صهريج بسعة مائة وخمسون مترا مربعا، وصهريج فى حارة الباب بسعة أربعة وستون مترا، وصهريج فى حى جياد بسعة مائتى وعشرين مترا، فى تفاصيل هذا انظر، انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٣٢–٦٣٣، ص ٦٤٢–٦٤٣.

فى هذا الأمر مائة وست وثلاثين كيسة أقجه[١]، وأمر بتطوير عين عرفات ليزيد ماؤها، كما تم تعمير بئر زمزم وبمناسبة الانتهاء من تعمير بئر زمزم نظم الشيخ طاهر سنبل أحد علماء مكة المشهورين ثلاثة ابيات من الشعر، والأبيات مكتوبة على باب بئر زمزم، ونصها:

سرور لسلطان البرية والورى ... لعبد الحميد البر بحر المكارم

ونصر له أيضاً وفتح ورفعة ... بتجديد هذا الخير بعد التقادم

حفيرة إسماعيل أعني ابن هاجر ... وركضة جبريل على سر آدم .

وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى تم تعمير عين زبيدة تعميرا كبيرا ،جمعت له التبرعات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى[٢]، وكان هذا بمثابة تأكيد للجامعة الإسلامية، وتكونت لجنة هندسية للإشراف على عملية الترميم و إنشاء قنوات مياه عين زُبيدة في مكة المكرمة، وقد عملتً اللجنة لمدة أربع سنوات واشتغل فى تنفيذها مايزيد علي ثلاثة آلاف عامل ، وبدأ العمل من "وادي النعمان" حيث مجري ماء عين زبيدة، علي مسافة ثمان ساعات من مكة المكرمة. كما قامت اللجنة بإنشاء ثمانية عشر خزانا ضخما للمياه، وعين ماء لسد احتياجات أحياء مكة المكرمة و أهلها.

---

١ الآقجه عملة صغيرة من الفضة وكيسة الآقجه تساوى خمسمائة قرش.

٢ تبرع أثرياء مكة المكرمة وجدة لترميم عين زبيدة، وتبرع أثرياء الهند بمليون وستمائة وخمسة وعشرين ألف قرش، وجمع من مصر خمسة عشر ألفا وسبع وستين قطعة ذهب مصرية، كما بلغت جملة التبرعات المرسلة من صندوق بومباى ما يعادل اثنين وثمانين ألفا ومائة وثمان وستين قطعة ذهبية، انظر، جولدن صارى، المرجع السابق، ص ١٦٤، ١٦٥، وأيوب صبرى، المرجع السابق، ص٦٣٨–٦٣٩.

وكذلك إنشاء عيون ماء في المنطقة المحيطة بالحرم الشريف وتزويدها بصنابير متعددة، ، ليتوضأ حجاج المسلمين منها . كذلك توصيل مواسير المياه إلى مستشفي الفقراء والمؤسسات الخيرية السلطانية، ومقر الحكومة السنية، ومعسكر المدفعية السلطاني، والمطبعة، ومكتب البرق، والمخبز العسكري، وأقسام الشرطة النظامية، والحمامات .مما ساعد على تخفيض ثمن المياة خاصة فى موسم الحج[١] .

كذلك اهتمت الإدارة العثمانية فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى بنظافة الأحواض التى يستخدمها الحجاج فى عرفات، وخصصت نصف أحواض الماء الموجودة وعددها خمسة عشر حوضا لشرب الحجاج، ونصفها الآخر لغسيل ملابسهم[٢].كما تم توصيل ماء عين زبيدة من وادي المفجر إلي مني الواقعة فوق الجبل علي ارتفاع ٣٠٠متر، ورفع الماء إليها بواسطة ماكينتين بخاريتين، تم صنعهما في الترسانة العامرة لهذا الغرض. وكان الحجاج يقضون في مني ثلاثة أيام، يعانون خلالها من مشكلة ندرة الماء. وبتوصيل ماء عين زبيدة إلي وادي المفجر، أمكن إنقاذ حياة آلاف الحجاج في مني. كما تم إنشاء خزانين كبيرين للماء ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م[٣] .

وعقب الانتهاء من الأعمال الإنشائية لعين زبيدة، صدر الأمر فى عام ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م بتوصيل ماء " عين وزيرية "، إلي مدينة جدة

---

١ محمد الأمين المكى، ص ١١.

٢جولدن صارى يلدز، المرجع السابق، ص٥١.

٣ محمد الأمين المكى، ص١٣.

التي كان يقطنها آنذاك ثلاثين ألف نسمة واستغرق هذا الأمرثلاثة أعوام ونصف العام بمعاونة ثلاثة آلاف وخمسمائة عامل، وأمكن توصيل ماء "عين وزيرية " من يمين " رُغامة " الواقعة علي مسافة ساعتين من "جِدة " ، إلي نفس مدينة "جِدة ". وبذلك أنقذ أهالى "جِدة " والحجيج، من مضار شرب الماء الآسن، كما أُنشأت خزانات متصلة بعيون الماء لخدمة أحياء "جِدة". ومدت أنابيب الماء إلي المعسكر السلطاني، ومقر الحكومة والمستشفي العسكري.كما تم تطهير وتعمير كل أحواض الماء في عرفات للمحافظة على صحة الحجيج وذلك فى عام ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م[١].

***

كما أولى العثمانيون الحياة الثقافية والعلمية أهمية كبيرة، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، سيرا على منهج خلفاء المسلمين وحكامهم فى رعاية العلم والعلماء خاصة فى الحرمين الشريفين، وكانت منطقة الحجاز فى العهد العثمانى عامرة بحركة علمية ومناقشات فقهية فى حلقات العلم والمساجد[٢] حول الحرم المكى

١ محمد الأمين المكى، ص ١٤، وجدير بالذكر أن اهتمام السلطان عبد الحميد بمسألة توفير مياه الشرب، لم تقتصر على مكة وحدها، بل امتدت إلى جدة أيضا باعتبارها الميناء الذى يستقبل الآلآف من الحجاج كل عام فأنشأ بحى العيدروس مخزنا للمياه ينتهى بعدة أسبلة لخدمة الأهالى، وكذا صنابير للمياه بالقرب من المستشفى العسكرى بجدة، وأخرى فى ميدان بئر يعقوب أغا فى حى باب اليمن وباب جاوه، وفى ميدان الميناء وجدت أسبلة ونافورة للمياه محاطة أطرافها بصنابير المياه، انظر، صابرة مؤمن، نفس المرجع، ص ١٥٩.

٢ تبين رحلات من زاروا الحجاز حجم المناقشات العلمية والفقهية والأدبية التى كانت تدور بين العلماء فى المساجد وحلقات العلم، مثال ذلك ما دونه النابلسى فى مواضع لا تحصى من رحلته إلى الحجاز فى =

الشريف، وقد أحصى أوليا جلبى المدارس فى مكة المكرمة فى القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى وعددها مائة وست وسبعين مدرسة . منها أربعون مدرسة وصفها بأنها عظيمة تقع حول الحرم وحده. ومائة وخمسين مدرسة للصبيان يدرسون فيها مبادئ القراءة والكتابة، كما وجدت بها دور قراءة القرآن الكريم فى أربعين مكانا، وكلها تقوم بتحفيظ القرآن وتلاوته وتجويده بمختلف القراءات، كما احتوت أيضا على أربعين دارا للحديث[١].

وأثناء بناء الحرم المكى الشريف فى عهد السلطان سليمان القانونى، اشترى السلطان سليمان القانونى الساحة الناتجة عن انهدام المستشفى المنصورى الكائنة فى جهة الشمال من جدار المسجد الحرام، وكذا شراء خرائب تكايا السلطان أحمد شاه سلطان كجرات والشيخ طاهر، وكذلك المنازل المتصلة بها، وأمر ببناء أربع قاعات واسعة للدرس فى الحرم المكى[٢] ، فى كل قاعة منها مدرسة لواحد من مفتى المذاهب الأربعة إلا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لعدم توفر من هو فائق فى هذا المذهب، وتحولت المدرسة الرابعة إلى دار للحديث[٣]، وفى تلك المدارس خصص لكل

=

القرن الثانى عشر الهجرى عن المناشات العلمية التى شارك فيها، انظر، عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى، الحقيقة والمجاز فى الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.

١ فى أسماء هذه المدارس انظر، يلماز اوزطونه، المرجع السابق ص٣٩.

٢ انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٥٦٨.

٣ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص٤٥٣.

خمسة عشر طالبا، معيد ومدرس[١]. وللمدرسة السليمانية ست وأربعين حجرة ولكل حجرة جراية قدرها ثلاثة أرادب حنطة [٢]، وقد أوقف على هذه المدارس أوقافا كثيرة فى بلاد الشام فكانت تأتى إليها الأموال فى كل عام مع الركب الشامى لدفع رواتب المدرسين وطلاب العلم [٣]. كما بنيت مدرستان نموذجيتان، واحدة منهما ابتناها الصدر الأسبق صقوللى محمد باشا[٤] عليه رحمة الله، وابتنى الأخرى داود باشا، وهما من الآثار المعمارية الرائعة للمعمارى العثمانى سنان باشا[٥] .كذلك المدرسة والرباط اللذين أنشأتهما " خاصكى خرَّم سلطان" زوجة السلطان سليمان القانونى[٦]. وهى مدارس اهتمت بحماية المذهب

١ محمد الأمين المكى، ص ٢٧.

٢ أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٤٥.

٣ النابلسى، المرجع السابق، ص ٤٥٣.

٤ الصدر الأعظم فى زمن السلاطين سليمان القانونى وسليم الثانى ومراد الثالث، توفى عام ٩٨٧هـ .

٥ انظر، محمد حرب جهود المعمار سنان فى مكة والمدينة، مجلة الدارة، ربيع الأول ١٤١٣، ص١١٥–١٢٩.

٦ اسمها الأصلى روكسلانه ويعرفها العثمانيون باسم خاصكى خُرَّم سلطان . انضمت إلى الحريم كجارية وكان عمرها آنذاك يتراوح بين الرابعة عشر والسابعة عشر، ثم أصبحت زوجة للسلطان سليمان القانونى. وتوفيت عام ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨م، ودفنت فى فناء جامع السليمانية فى مقبرة تحمل اسمها . أنفقت خُرَّم سلطان أموالا كثيرة فى أعمال الخير أ كما أنشأت أوقافا كثيرة فى مناطق متعددة من الدولة العثمانية فى أدرنة واستانبول والقدس ومصر وغيرها. كما ابتنت خُرَّم سلطان مؤسستين خيريتين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة فقراء المسلمين وطلاب العلم فىالحرمين الشريفين تتكون كل مؤسسة منهما من مطعم خيري لتقديم الطعام لفقراء المسلمين وطلاب العلم، ورباط لسكنى طلبة العلم، فضلا عن مسجد ومدرسة. وأوقفت على هاتين المؤسستين أوقافا كثيرة للإنفاق عليهما ورتبت لهذا الأمر وقفية مدونة باللغة العربية وضحت فيها تفصيلا حجم هذه الأوقاف ومكانها والعاملين على إدارتها ومهامهم ورواتبهم، والصفات الواجب عليهم التحلى بها والتى تتناسب مع طبيعة مهام كل واحد منهم، وأوجه الإنفاق من هذه الأوقاف بشكل تفصلى دقيق يمكن من =

السنى ووضعت الضوابط اللازمة لمنع التحاق غير أهل السنة بها فاشترطت خاصكى سلطان (أن يكون سَكَنة رباطها بعدد حجراته ثمانية وأربعين من الصلحاء المتورعين والفقراء المتشرعين متمذهبين بمذهب أهل السنة والجماعة مجتنبين عن الأهواء والأسوآء والشناعة" كما حذرت من أن يسكن فى هذا الرباط من يكون على غير مذهب أهل السنة والجماعة " أو أن يكون من سائر المبتدعة ❖ أو يكون على مسكن آخر قادرا ❖ أو يكون فى صورة الصلاح غادرا❖ فإن كان طالب الحجرة من ديار العجم أو غيرها من سائر الأمم من كان مجهول الحال ومستور الفعال❖ يفتش عن أحواله ويتفحص عن أفعاله❖ فإن ظهر كونه ممن يحب الصحابة العظام ويعظمهم رضى الله عنهم أجمعين ويبجل ايمة الفخام رحمة الله عليهم إلى يوم الدين)[١]،كما اشترطت أن يكون (معلم مكتبها الشريف رجلا دينا من أهل العلم والصلاح تقيا نقى المذهب "وفى صدد الاهتمام باللغة العربية التى كانت لغة العلماء والعلم فى المدرسة العثمانية، اشترطت خُرَّم سلطان،أن يكون المعلم (عالما بفنون القراءة والفقه واللغة العربية يعلم القرآن ومقدمة الصلوة والمقدمات الأدبية، ويواظب على ما فى عهدته دايما ولا يترك إلا لعذر شرعى) أما المستفيدين من هذه المدرسة فهم (أربعين نفرا من صبيان الفقراء وفقراء الصبيان)

=

خلاله فهم ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية لحريم القصر العثمانى ومدى إسهامهم فى الأوقاف العثمانية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة. انظر ، نص وقفية والدة السلاطين (خُرَّم سلطان) مخطوط مودع دار الكتب المصرية برقم ١٣٨٦٤ح، ميكروفيلم ٤٠٤١٢، الورقة ١أ. و وقد قمنا بتحقيقها وجارى نشرها .

١ أنظر نفس المرجع السابق.

وكانت تقدم الطعام يوميا لطلبة هذه المدرسة ومعلمها [١].

والجدير بالملاحظة أن هؤلاء المعلمين كانوا يخضعون لنوع من المتابعة والمراقبة، فكان "عدم قدرة المدرس على ضبط أمور المدرسة أو القيام بأعباء العمل، وعدم الاجتهاد فيه أو تذبذبه" يعتبر سببا كافيا لتنزيل درجته في وظيفة التدريس[٢].

وفي عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥ م صدر أمر السلطان عبد المجيد الأول إلى عثمان باشا الفناري والي الحجاز وشيخ الحرم بتعمير المخزنين الكائنين في ساحة المسجد الحرام ليصبح أحدهما دار توقيت، والآخر مكتبة عامة متكاملة جرى تزويدها بكتب قيمة أرسلت من استانبول خصيصاً، وأطلق عليها اسم " المكتبة المجيدية " نسبة إلى السلطان عبد المجيد[٣] .. وفي عام ١٢٦٧هـ /١٨٥٠م، تم إنشاء مدرسة تضم حوالى عشرين حجرة، وقاعات للدرس ومكتبة وشادروان[٤]. وأرسلت الكتب للمدرسة المجيدية من الخزانة السلطانية الخاصة ومجموعها ٢١٣مجلد عبارة عن٢٣ مجلدا في التفسير، ٣٨ مجلدا في الحديث، ٣٠ مجلدا في الفقه، ٢٥مجلدا في التصوف ٢٩مجلدا في الصرف والنحو، ١٢مجلدا في معاني البيان، ٤مجلدات في المنطق، ٣ مجلدات في الأدب، ٣ مجلدات في الحكمة

١ انظر، وقفية خرم سلطان ورقة ١٢ب-١٣أ.

٢ انظر، سهيل صابان، نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ص ١٨٥. نقلا عن، الأرشيف العثماني، تصنيف ٦٠/١-١١.Dah.Mui.

٣ محمد الأمين المكي، ص٦٨.

٤ نظيف أوزتورك ص ١٣/٢٩.

والحساب، ١٣مجلدا فى اللغات، ١٣مجلدا فى التاريخ[1]، كما خصص من أوقافه الخاصة بالحرمين مبلغا للمرتبات السنوية لأمناء مكتبة المدرسة، وكذا القائمين على الخدمة فى المدارس المستحدثة، وسقائى الصنابير ونظار المدارس[2]. وقد دلت النشرة السنوية التى تصدرها الدولة العثمانية باسم السالنامه أن سلاطين القرون الأخيرة من عمر الدولة العثمانية ورجال الدولة فى استانبول أهدوا المئات من الكتب باللغتين العربية والفارسية ومخطوطات باللغة التركية إلى مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة[3].

كما أمر السلطان عبد الحميد فى عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م، بإنشاء مطبعة فى مبنى من الحجر علي طابقين، بطرز جديد وجميل. وموقعها في الساحة الأميرية أمام مقر الحكومة في مكة المكرمة. وتضم هذه المطبعة ثلاث ماكينات طباعة بالحروف العربية والتركية والفارسية والهندية، ولغة أهل جاوه، وذلك لطبع كل أنواع الكتب الدينية وغير الدينية، وإرسالها إلي كل البلاد الإسلامية، وقد طبعت هذه المطبعة فى ثلاث سنوات خمس وأربعين كتابا . كما أنشئت فى مكة المكرمة المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة سنة ١٣٢٧هـ—١٩٠٩م، وقد أسهمت هذه المطابع فى إنعاش الحركة الفكرية، وفى طبع المزيد من المؤلفات المتنوعة ونشر الكتب التى قام علماء مكة

---

١ نظيف أوزتورك ص ١٢/٢٩. ولمعرفة بيان اسماء هذه الكتب انظر الملحق رقم ٢.

٢ أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٢.

٣ أوزطونه، المرجع السابق، ص٤٦.

المكرمة وكذا المدينة المنورة وجدة بتأليفها [١]، كما تم تأسيس وافتتاح مدرسة إعدادية في كل من مكة المكرمة وجده والطائف وينبع [٢] .

وبعد إخضاع التعليم لإشراف الدولة بعد التنظيمات (١٨٣٩–١٨٥٦م)كانت الدولة العثمانية تسمح للأهالى بإنشاء المدارس الأهلية بعد الحصول على إذن خاص، وقد قامت هذه المدارس الأهلية بدور كبير فى تدعيم الحياة العلمية فى مكة[٣].

***

كذلك حظى أهالى مكة المكرمة بالرعاية المادية والاجتماعية فى العهد العثمانى، فعقب فتح مصر (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، رتب السلطان سليم خان الأول جراية[٤] من القمح، هدية إلى أشراف الحرمين الشريفين، وعلمائها، والمدرسين، والسادة والأهالى والمجاورين، وخدم الحرمين الشريفين. وكانت هذه الجراية فى البداية عبارة عن خمسة آلآف أردب قمحا لمكة المكرمة، وألفى أردب للمدينة المنورة.ولما زاد عدد سكان البلدتان

١ صابرة مؤمن اسماعيل، جده خلال الفترة من ١٢٨٦–١٣٢٦هـأ/١٨٦٩–١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية فى المصادر المعاصرة، اصدارات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٨هـ،ص١٧٥.

٢ محمد الأمين المكى، ص ١٥.

٣مثال ذلك مدرسة الفلاح التى أنشأها محمد على زينل فى مكة المكرمة فى مطلع القرن العشرين، بهدف رفع مستوى طلاب العلوم الدينية وتخريج أساتذة متمكنين فى هذه العلوم الدينية واللغوية وكانت تتكون من ثلاثة مراحل،فى تفصيل هذا انظر، صابرة مؤمن، نفس المرجع، ص ١٦٩–١٧٢.

٤الجراية تعنى المقدار أو الجارى من الرواتب. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط١٩٩٣، ص ١/١٠٣.

المباركتان، مكة المكرمة والمدينة المنورة، صدر الأمر بزيادة هذه الجراية، فأصبح راتب مكة المكرمة من القمح، اثنى عشر ألف أردب، وراتب المدينة المنورة، ثمانية آلآف أردب من القمح، وكان الأردب القديم يعادل مائة وثمانية أُقة عثمانية، وفضلا عن ليرة عثمانية عن كل أردب. وسميت رواتب الحنطة هذه بدل دعاء. وكانت ترسل فى كل عام من حاصلات تلك المزارع (الموقوفة). وكان مجمل ثمن هذه الحنطة ١,٢٠٢,٥٠٠٠ قرشا (مليون ومائتى وأثنين ألفا وخمسمائة قرش) منحة مقدمة من خزينة السلطان بأمر منه، ترسل فى كل عام مع الصرة السلطانية إلى إدارة خزينة مكة المكرمة[١].

وكان لنساء العثمانيين إسهاماتهن فى الخدمات الاجتماعية فى مكة المكرمة، فقد أنشأت السيدة السلطانة خاصكى خرّم سلطان زوجة السلطان سليمان القانونى مطعمين خيريين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، تقدم الطعام يوميا لفقراء المسلمين وقد أوقفت خُرَّم سلطان على هاتين المؤسستين الخيريتين، أوقافا كثيرة بعضها مما أهداه إليها السلطان سليمان القانونى من الأراضى والقرى المصرية، والبعض الآخر عبارة عن عقارات تم شراؤها من أصحابها فى مكة المكرمة والمدينة المنورة بالشراء الشرعى ثم أوقفته لذات الغرض. ونوع ثالث عبارة عن أدوات وآلات لازمة للوقف وتساعد على تحقيق الغرض المنوط به عبارة عن سفن و وأدوات طهو وطحن وغيرها. ويقع هذا المطعم الخيرى (فى جوار مسجد الراى بقرب موضع يقال له

١ محمد الأمين المكى، ص ٣٣.، حول الصرة الخاصة بأهل مكة فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى، انظر الملاحق.

مدعى* حاوية على مطبخ ومخبز وبيت الرحى* وبئر ماء وثلاثة مخازن اثنان منها كبيران متخذان للغلال ويقال لهما الانبار* وواحد منها صغير متخذ لساير الحوائج ويقال له كيلار* حدودها شرقا وشمالا ينتهى إلى موضع مشهور بسوق الليل * وغربا إلى الطريق العام* وجنوبا إلى مسجد الراى.) كما أنشأت أيضا (رباط معمور معروف يشتمل على ثمانية وأربعين حجرة وعلى سبيل مآء فوقه مكتب وحدوده جنوبا ينتهى إلى دار أوقفته اوشرطت كونها مسكنا لكل من يكون من العلماء العابدين* والصلحاء الزاهد ين * وشمالا إلى الطريق المعروفة بسوق القشاش وشرقا إلى حجرات المولى محيى الدين الخطيب* وغربا إلى المسعى الشريف زاده الله شرفا) وكذلك (سبيل منفرد البناء* ومرتفع الإنشاء واقع فى داخل الحرم الشريف حذآء باب الكعبة الشريفة وتجاه الحجر الأسود[١]) ورتبت له وقفية حددت فيها مواصفات العاملين والقائمين على هذا المطعم الخيرى ،أهمها أن يكون (رجلا صالحا دينا * وبالصلاح والصيانة والأمانة والديانة متعينا وبمنصب التولية حريا وبحلية الأهلية متحليا * وفى الاعتقادات سنيا* وفى الاجتهاديات حنفيا* مواظبا على مراسم التولية بالاستقامة* مجانبا عن مخايل الخيانة والسقامة ويكون وظيفته اليومية ستة قطع من القطع المصرية وجرايته السنوية عشرة أرادب من الحنطة النقية* وأن يكون شيخا رجلا طلق الوجه عذب اللسان ورقيق القلب شفيق الجنان صالحا دينا مستقيما وفى خدمة الشيخية قايما ومقيما يحضر فى المطبخ كل يوم صبيحة النهار ويعطى كل ذى حق حقه بلا تبذير وإقتار* يحضر بنفسه لعذر شرعى يمنع حضوره*ولا

١ انظر، وقفية خرم سلطان، ورقة ٥أ–ب.

يستتيب إلا لمانع قوى يستلزم الاستتابة بالضرورة يذوق فى كل يوم من الخبز والطعام* ويهتم فى تحسين طعمهما اية الاهتمام * ويبالغ ألا يكون منهما نيا أو محترقا ويهتم أن يكون أمر العمارة متسقا* ويتعرف أحوال المخازن فيعرف الداخل والخارج ويضبط كمية ما يدخل وما يخرج من الغلال وسائر الحوائج فيكون وظيفته اليومية أربع قطع وعشرين رغيفا. ومنها أن يكون لها كاتبان قادران على الحساب والكتاب يكتبان الموارد والمصارف على منهج الصواب ويروحان بالمناوبة إلى جدة المحروسة عند مجيء الغلال فيضبطانها فى المخزن المعد لها بلا إهمال ولا إمهال* ويبرزان الدفتر الصحيح فى رأس كل سنة عند المحاسبة * ولا يقصران بلا عذر شرعى فى مواظبة تلك المناوبة *ويكون الوظيفة اليومية لكل واحد منهما قطعتين ونصف قطعة * ومن الخبز رغيفين ومن الطعام قصعة والجراية السنوية أردبين من الحنطة النقية)[١].

وكانت مكة والمدينة تعجان بالحركة ويعمهما الخير مع قدوم الحجاج إليها والصرة وكانت هذه الصرة عبارة عن محصلة الأموال الموقوفة على الحرمين الشريفين والأهالى ومقدار من الذهب السلطانى، وكان يرسل معها مرسوم يوضح كيفية توزيعها على المستحقين، و الخلع الخاصة بأمير مكة هدية من الباب العالى [٢]. وترسل الصرة فى موكب خاص هو " موكب الصرة"، ويكلف به موظف مخصوص هو أمين الصرة وهو موظف مكلف من قبل

١ انظر، وقفية خرم سلطان ورقة ١٢ب.

٢ انظر، نص المرسوم الموجه من السلطان محمد الثالث إلى أمير مكة عام٩٠٦هـ، فريدون بك، المرجع نفسه، ج٢، ص١١٠.

السلطان للإشراف على توزيع الهدايا النقدية والعينية التى يرسلها العثمانيون على المستحقين لها وفق دفاتر خاصة بهذا الغرض[١]. استمر الخلفاء العثمانيون فى إرسال الصرة بشكل منظم بعد فتح الشام ومصر وضم الحجاز حتى زمن السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦– ١٩٠٩).

وفى زمن السلطان عبد الحميد الثانى تم تقديم مبلغ ٢٦٤٠٠٠قرش منحة لأهالي الحرمين الشريفين لدفع القحط الذي أصابهم سنة١٣٠١هـ /١٨٨٤م .و تقديم مبلغ ١٠٠٠ليرة عثمانية من أموال السلطان الخاصة، منحة إلي فقراء حجاج المحيط الهندي.و التبرع بمبلغ ٢٦٤,٠٢٢قرشاً كدفعة ثالثة، إلي البدو وأهالي الحرمين الشريفين، لدفع القحط . ومنح معونة نقدية إلي أهالي الحرمين المحترمين الكرام قيمتها ٢٦٤,٠٢٢ قرشاً. ترسل فى كل عام مع الصرة السلطانية [٢].

ولما كانت مكة المكرمة قبلة المسلمين فى شتى بقاع الأرض، ومنهم الفقراء فقد تم فى عام ١٣٠٣هـ إنشاء دار ضيافة (مسافر خانه)، وهي عبارة عن بناء مخصص للحجاج والزوار والفقراء. وكانت تكاليف البناء كلها وسائر المصاريف الأخري، هدية من الخزينة الخاصة بالسلطان عبد الحميد الثانى. ودار

١ كان توزيع هذه المستحقات يتم فى حضور قاضى القضاة بمكة المكرمة وأمين الصرة وكاتبها، وأعيان مكة المكرمة وجمع من الناس، وفى حالة وفاة أحد المستحقين تصرف المستحقات إلى أبنائه، انظر، فريدون بك، المرجع نفسه، ج٢، ص ١١٠.

٢ محمد الأمين المكى، ص١١.

الضيافة هذه مبنية من الحجر وتتكون من طابقين، وتتسع لأربعة آلآف شخص، وموقعها في الساحة الأميرية الكائنة عند مدخل وادي "حفاير"، غرب مكة المكرمة، علي الطريق المؤدي إلي جِدة أمام وادي "زاهد" . وقد اشرف علي هذه المباني والانتهاء منها، لجنة خاصة من استانبول برئاسة الأميرآلاي أركان حرب منير باشا. وتكلف البناء ما يزيد علي ٤١٠,٠٠٠ (أربعمائة وعشرة ألف)ليرة عثمانية. وقد صد الأمر بأن يتوجه من استانبول، وزير ومعاون وإمام ومؤذّن وكل القائمين علي الخدمة في هذه الدار. كما أمر السلطان عبد الحميد الثانى بتقديم الحساء واللحم والأرز والخبز ومختلف أنواع الطعام إلي الحجاج والفقراء يوميا[١] .

***

و مكة المكرمة على مدار التاريخ هى مدار اجتماع و التقاء المسلمين من جميع الأقطار والأجناس لأداء فريضة الحج، مما أدى فى أحيان كثيرة إلى انتقال بعض الأمراض المعدية من مناطق بعيدة إلى مكة والحجاز، لهذا كانت الرعاية الصحية وما تحتاج إليه من مظاهر النظافة وتجنب أسباب انتشار الأمراض موضع رعاية الإدارة العثمانية.

ومن هذه المظاهر إنشاء الحمامات العامة، وحسبما تذكر المصادر العثمانية إنه كان يوجد فى مكة المكرمة فى القرن الحادى عشر الهجرى،السابع عشر الميلادى حمامات عامة وخاصة، وأجملها

١ محمد الأمين المكى ص ١٤.

قاطبة الحمام الذى أقامه صوقللى محمد باشا ، وكذا الحمام الذى أقامه سنان باشا فاتح اليمن[١] ، فضلا عن مائة وخمسة وأربعين حماما فى القصور والسرايات الخاصة بالأشراف وآل البيت وحدهم، كما كانوا يعنون بكنس الشوارع الرئيسية وتنظيفها ، ويرشون أمام الحمامات ويحرقون مخلفاتها[٢].

وقد نالت مكة المكرمة اهتماما صحياكبيرا خاصة بعد حادث انتشار الكوليرا فى عام ١٢٨١هـ/١٨٦٥ ، إذ قررت الدولة العثمانية إنشاء إدارة صحية لملاحظة الحالة الصحية للحجاج ومراقبة سواحل الحجاز.، ونظرا لعدم توافر نظام للصرف الصحى فى مكة المكرمة فى ذلك الوقت، وكثرة الحجيج من جميع أنحاء العالم الإسلامى وتكدسهم فى المناطق المحيطة بالحرم المكى وفى الشوارع، وعدم توافر دورات المياه العامة ،وقد أدت هذه الأسباب كلها إلى تراكم القاذورات التى تساعد على انتشار الأمراض[٣]، وكانت مسائل النظافة العامة متروكة لأمراء مكة .وفى زمن السلطان عبد الحميد الثانى، شهدت الخدمات الصحية فى مكة

---

١ عندما زار سنان باشا مكة المكرمة فى عام ٩٨٧ ، أمر بحفر بئر ماء وتوصيل ماؤه إلى الصهريج الموجود عند مسجد التنعيم، وفرش أرضية المطاف بالرخام، وأمر بصنع سبيل وحوض فى طريق العمرة وحفر فى أماكن بعيدة آبارا عميقة واسعة لملء السبيل والحوض بالماء، وقد اندثرت هذه الأعمال بعد ذلك. انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٨٨٣.

٢ فى وصف هذه الحمامات ومدى جمالها، يلماز أوزطونة، المرجع السابق، ص٣٩.

٣ انظر Abdurresid Ibrahim,٢٠,asrin Baslarinda Islam Dunyasi, yeni asya yayinlari,istanbul ١٩٨٧,c.٢,s.٤٠٤.

وسيتم توثيقه فيما بعد، عبد الرشيد ابراهيم، العالم الإسلامى.

المكرمة طفرة وتدخلت الدولة بشكل مباشر للنهوض بالخدمات الصحية[١]، إذ تم تأسيس إدارة صحية خاصة بمكة المكرمة في عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥بغية تأمين راحة الحجاج ومراقبة أحوالهم الصحية[٢]. وقد بلغت النفقات السنوية للإدارة الصحيية في مكة سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م، ٤٢٨٧٦٠ قرشا أنفقت على تنظيف الشوارع والمنازل التي يقيم بها الحجاج وحماية المياه من التلوث، وغيرها من الإجراءات الصحية التي نصت عليها اللجنة الصحية التي تكونت في مكة لتنظيم أمور الصحة والنظافة في الحجاز.[٣] كذلك تم إنشاء إدارة صحية في مني لتوفير الرعاية الصحية للحجاج، ومستشفي يتسع لأربعين سريراً، وصيدلية.١٣٠٠هـ(١٨٨٣) . إذا كانت منى مصدرا لانتشار الأمراض في موسم الحج بسبب لحوم الأضاحي التي كانت تترك مع مخلفاتها في العراء، فتتلف وتتسبب في انتشار الأمراض[٤]. كما صدر الأمر السلطاني بالبدء في إضافة طابق ثان إلي مبني مستشفي فقراء المسلمين في مكة . وهو المستشفى الذي أنشئ إحياءً

١ يذكر عبد الرشيد غبراهيم أن الاهتمام بإزالة أسباب انتشار الأمراض أسفر عن نتيجة إيجابيية فانقضى حج عام ١٣٢٧ بدون وفيات بين الحجيج، انظر، عبد الرشيد ابراهيم، المرجع السابق، ص ٤١٥.

٢ انظر، قاسم عز الدين، حجاز صحية اداره سى، رهبر ضابطهء صحية، قسم ثانى، (دليل القواعد الصحية) (باللغة التركيية العثمانية)، طبع استانببول ١٣٣١هـ.ص ١١٣

٣ جولدن صارى، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

٤ انظر، عبد الرشيد ابراهيم، العالم الإسلامى، ج٢، ص ٤٠٤.

لذكري السلطانة الوالدة بَزْم عَالَم[1].وقامت السلطانة الوالدة برتونيال[2] بإضافة إصلاحات وخيرات كثيرة لمستشفى فقراء المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأمرت بتوظيف أطباء وقابلة وصيدلاني وجراح، وتوفير كل ما يلزم المستشفى من خدمات[3]. كما خصصت أموال من وقف السلطان عبد المجيد لدفع رواتب أطباء وصيادلة وجراحى المستشفيات، والقائمين على تطهير بيوت الخلاء فى مكة المكرمة[4].

وقد وضعت الإدارة الصحية للحجاز دليلا للقواعد الصحية سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٤م لمناطق الحج، يوزع مجانا على الحجاج، أوصت فيه بضرورة العناية بنظافة مياه الشرب للحفاظ على الصحة العامة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبالتالى تم وضع ماكينات لتقطير مياه الشرب فى جده وينبع، ومدت أنابيب المياه منها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لتوفير المياه النقية للمدينتين المقدستين. كما اعتنت هذه الإدارة الصحية بدفن بقايا الأضاحى فى منى منعا لانتشار الأمراض. وكان أشد ما يزعج الدولة العثمانية انتشار الأمراض

١ بزم عالم زوجة السلطان محمود الثانى ووالدة السلطان عبد المجيد الأول وكانت قد شرعت فى بناء هذا المستشفى الخيرى فى مكة المكرمة لكنها توفيت قبل تمامه، فأتمه السلطان عبد الحميد الثانى.

٢ برتونيال : والدة السلطان عبد العزيز، وهي أصغر زوجات السطان محمود الثاني، ونالت لقب "والده سلطان" تكريماً لها بعد جلوس ابنها على عرش الدولة العثمانين، توفيت سنة ١٣٠٠هـ – ١٨٨٣م .جغتاى اولوجاى، ص : ١٢٤ .

٣ محمد الأمين المكى، ص٥٢.

٤ أيوب صبرى، مرآة الحرمين، ج٢، ص ٥٩٢.

المعدية، مثل الكوليرا والجدرى فى مكة والمدينة خاصة فى موسم الحج نتيجة الزحام وتوافد الحجيج من الهند وجاوه على وجه الخصوص حيث كان مرض الكوليرا يمثل أحد الأمراض المعدية سريعة الانتشار بين الحجيج فى مكة، مما حدا بالدولة العثمانية إلى اتخاذ التدابير الوقائية لمنع انتشار مثل هذه الأمراض، ووضعت اللوائح الصحية لمحاصرتها، وعرفت وسائل التطهير كالتبخير والتطهير بالمواد الكيمياوية وكذا الحرص على نظافة مصادر المياه والطرق، ودفن بقايا الطعام، كما عرفت هذه الإدارة التطعيم بالأمصال واللقاحات خاصة ضد الأمراض المعدية مثل الجدرى وأنشأت المحاجر الصحية فى قمران وجدة [١].

وكانت الهيئة الصحية التى أرسلت إلى مكة المكرمة فى عام١٨٦٦م تهتم بتعقب أسباب تلوث البيئة الضارة بالصحة العامة داخل مكة وخارجها، وكانت تبدأبنظافة مكة المكرمة قبل الحج وتبذل طاقتها فى تطبيق القواعد الصحية أثناء تأدية المناسك، وقامت بنظافة جميع أحياء مكة وشوارعها ونقلت الحرف والصناعات الضارة بالصحة العامة إلى خارج مكة، وأعادت تجهيز المستشفى ليكون على غرارمستشفيات استانبول،وزودته بما يلزم من أدوات والآت وأسرّة، وأقامت دورات المياه العامة فى أماكن متفرقة من المدينة، وجهزت الأماكن المناسبة لدفن بقايا الأضاحى التى كانت سببا رئيسا فى انتشار بعض الأمراض، وتم نشر عربات لجمع القمامة وتولى أطباء وموظفو الصحة الإشراف على نظافة الأماكن وخاصة المراكز

١ انظر، قاسم عز الدين، المرجع السابق.ص١١٢–ص١٣٦.

التجارية والميادين العامة، وكذلك الإشراف على رش الشوارع بالمياه وحمل القمامة والمخلفات الآدمية إلى خارج مكة حفاظا على الصحة العامة خاصة فى موسم الحج[1].

كذلك اهتم العثمانيون بتنمية المنافع الحضارية العامة فى مكة المكرمة، إذ تبرع السلطان عبد الحميد الثانى بمبلغ ٥٦٠,٠٠٠ قرشا لتنفيذ خط البرق الكبير من معانٍ إلي مكة المكرمة، والانتهاء من مد خط البرق الكبير من الشام إلي المدينة المنورة، وبناء دار للبريد والبرق من طابقين أمام مقر الحكومة في مكة المكرمة . وإنشاء خطوط برق سواكن، وأخري من جدة إلي مكة المكرمة والطائف .و مد خط سكة حديد الحجاز. وفى عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، ـ صدر الأمر بإرسال لجنة فنية لتنظيم الأحوال الجغرافية ووضع الخرائط للحرمين الشريفين[2].

كما اهتم العثمانيون بتعبيد وإصلاح الطرق، فأصلحوا الطرق المؤدية إلي جبل ثورعلي مسافة ساعتين من مكة المكرمة من الجهة اليمانية، وكانت الطرق المؤدية إليه وعرة وغير منتظمة، يعاني فيها الحجاج مشقة بالغة. فتم تعبيده عام ١٣٠٦هـ(١٨٨٩م) بمعرفة الأمير آلآى أركان حرب منير باشا، ومعاونة إسماعيل حقي باشا والي

---

١ حول الحالة الصحية للحجاز فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى، والإجراءات الصحية التى اتخذت فى عهده، انظر، جولدن صارى يلدز، المرجع السابق.

٢ محمد الأمين المكى، ص٢٤، مثال ذلك الخريطة التى وضعهاالقائمقام اركان حرب السيد محمد صادق للحرم المكى والتقرير الهندسى المرفق بها والخاص بعمل تعميرات للحرم المكى الشريف بتكلفة مقدارها ألفين وثمانمائة وأربعين ليرة عثمانية وذلك فى عام ١٣٠١هـ، ١٨٩٩م.، وقد نشره الدكتورمحمد حرب، انظر، محمد حرب، المرجع السابق.

الحجاز السابق[1].

وفى نهاية القرن الثالث عش الهجرى، التاسع عشر الميلادى كانت مكة المكرمة عامرة بالمنشئات الحضارية، فكانت تضم سبعة جوامع و٦٨مسجدا وقلعتين، وقصر حكومى ومحكمة، ودائرة بريد وثكنتان ومستشفى مدنى وثلاث تكايا وأربعين سبيل و حنفية عامة للمياه، وحمامان عامان وثلاثة آلاف دكان، ومطبعة لطباعة الكتب والصحف باللغتين العربية والتركية، وتسعة عشر رباطا للفقراء، وثلاثين طاحونة للغلال، وست مطابخ خيرية لإطعام الفقراء والمحتاجين، وست مدارس أولية، ومدرسة متوسطة، ومكتبتان عامتان . دار توقيت، وستين فرنا، وصيدلية، وثلاث وأربعين مكتبا للصبيان، ومذبحان، وثمان معامل أوانى وقوارير فخارية، ومخزن للنفط، ومحجرا صحيا، ومدبغة للجلود، فضلا عن الكثير من المنشئات الخيرية[2].

***

ونخلص من هذا العرض للخدمات والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى بأن خدمات الحرم المكى الشريف، وأمراء مكة وأشرافها وتأمين سبل الحج والمناسك ومصادر المياه، نالت الاهتمام الأكبر من جانب جميع السلاطين العثمانيين على مدار عمر الدولة

---

١ محمد الأمين المكى، ص ١٣.

٢ يلماز اوزطونه، تاريخ تركيا الكبير، ج١٤، ص ٣٩.، وشمس الدين سامى، قاموس الأعلام، ج٦،ص ص٤٣٨٦.

العثمانيـــة، كـــذلك تقـــديم الخـــدمات الاجتماعيـــة لأهـــالى الحـــرمين الـشريفين كـان لهـا الحـظ الأوفـر مـن اهتمـام العثمـانيين، ونالـت مكـة المكرمـة فـى زمـن الـسلطان عبـد الحميـد الثـانى المزيـد مـن الرعايـة والتطـوير لمرافقهـا العامـة وتحـديثها وربطهـا بالعـالم الخـارجى، وتقـديم مختلـف أنـواع الخـدمات الـصحية والتعليميـة، سـواء مـن خزينـة الدولـة أو مـن خزينـة الـسلطان الخاصـة، رعايـة مـنهم وخدمـة للحـرم المكـى الشريف، وحبا لأهله و خدمة لحجاج بيت الله الحرام.

***

المراجع والمصادر

باللغة العربية:

- إبـو الوليـد محمـد بـن عبـد الله بـن أحمـد الأزرقـى، أخبـار مكـة ومـا جـاء فيهـا مـن الآثـار، صـححها وعلـق حواشـيها رشـدى الـصالح ملحـس، المطبعـة الماجدية، مكة المكرمة سنة ١٣٥٢،

-الـسيد محمـد الـدقن، سـكة حديـد الحجـاز الحميديـة دراسـة وثائقيـة، ط١ ١٩٨٥

- الـسيد محمـد الـدقن، كـسوة الكعبـة المعظمـة عـبر التـاريخ، ط١ القـاهرة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦.

- أمـيرة علـى مـداح، النـشاط العلمـى فـى مكـة المكرمـة خـلال العـصر العثمانى، جامعة أم القرى ٢٠٠١.

-جولـدن صـارى يلـدز، الحجـر الـصحى فـى الحجـاز ١٨٦٥-١٩١٤، ترجمـه

عن التركية وقدم له عبد الرازق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١)، ط١، ٢٠٠١.

- صابرة مؤمن اسماعيل، جده خلال الفترة من ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية فى المصادر المعاصرة، اصدارات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٨هـ.
- عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.
- محمد حرب، خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها، مقال فى مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، نوفمبر ١٩٨٧م
- محمد على فهيم، مخصصات الحرمين الشريفيين فى مصر إبان العصر العثمانى، القاهرة ٢٠٠١
- منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع مكتبة السليمانية استانبول، أسعد افندى برقم ٢١٠٢.
- نجات جويونش، بعض الوثائق عن الكعبة فى القرن السادس عشر، بحث مقدم إلى جامعة الرياض، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الاولى لتاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٧.
- وقفية والدة السلاطين (خُرَّم سلطان) مخطوط مودع دار الكتب المصرية برقم ١٣٨٦٤ح، ميكروفيلم ٤٠٤١٢، جارى نشرها.

باللغة العثمانية:

- أيوب صبرى، مرآت مكة، استانبول ١٣٠١. وقد تمت ترجمة مرآة مكة

ومـرآة المدينـة ومـرآة جزيـرة العـرب إلى اللغـة العربيـة تحـت اسـم، موسـوعة مـرآة الحـرمين وجزيـرة العـرب، إشـراف محمـد حـرب، ، الترجمـة العربيـة حسين مجيب المصرى وآخرون، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٤،

– محمـد الأمـين المكى، خلفـا عظـام عثمانيـه حـضرتلرينك حـرمين شـريفينده كـى اثـار مـبروره ومـشكورهْ همايونلرنـدن، در سـعادت ١٣١٨هـ، ترجمـه إلى العربية ماجدة مخلوف، تحت الطبع.

– أحمد فريدون بك، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، استانبول ١٢٦٤.

– قاسـم عـز الـدين، حجـاز صـحية اداره سـى، رهـبر ضـابطهء صـحية، استانبول ١٣٣١

باللغة التركية:

Abdurresid Ibrahim,٢٠,asrin Baslarinda Islam Dunyasi, yeni asya – yayinlari,istanbul ١٩٨٧

Hezarfen Huseyin Efendi, Talhisu'l-Beyan Fi Kavanin-I Al-I – Ossman, Hazirlayan Sevim Ilgur, ankara ١٩٩٨,s

Ismail Hakki Uzuncarsili,Mekke-I Mukerreme Emirleri, ankara – ١٩٧٢

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati, Ankara ١٩٨٤,s.١٧٢.

agatay Uluçay,Padisahlarin Kadinlari ve Kizlari, Ankara ١٩٨٠.lM.–

Mehmet Zeki Pakalin,Osmanli Tarih Terimleri ve Deyimleri – zlügü ,Istanbul ١٩٧١.Ş

Mustafa Guler, Osmanli Devletinde Haremeyn Vakiflari(xvi-xvii – Yuzyillar) Istanbul ٢٠٠٢

Nazif Ozturk,Turk Yenilesme Tarihi Cercevesinde Vakif – Muessesesi, ankara ١٩٩٥.

Yilmaz Oztuna,Buyuk Turkiye Tarihi, Istanbul ١٩٨٣–

Ziya Kazici, Islami ve Sosyal Acidan Vakiflar Istanbul ١٩٨٥.–